تفسير البسملة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم: الباء للمصاحبة متعلق بفعل محذوف متأخر لكي لا يتقدم على اسم الله تعالى شيء، تقديره بسم الله أبدأ أو أقرأ، أي أقرأ مصاحباً أو مستعيناً باسم الله. ولعل الباء باء الإلصاق فهي تلصق العبد بجانب الرب وذلك أن القصد من كل العالم وصول العبد إلى الرب سبحانه وتعالى. واختلفوا في اشتقاق الاسم:

فقال البصريون: هو مشتق من السمو، أي العلو والظهور، فاسم الشيء ما علاه حتى ظهر ذلك الشيء به فكأنه علا على معناه وصار علماً له ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وقال الكوفيون: هو مشتق من السمة وهي العلامة فالاسم كالعلامة المعرفة للمسمى والمعنى أن كل عمل يعمله الإنسان إن كان قياماً أو قعوداً أو أكلاً أو شرباً أو

قراءة أو كتابة أو وضوءاً أو صلاة، فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله مستعيناً بالله على إتمام عمله ومتبرئاً من الحول والقوة، أي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الله: هو اسم علم دال على الذات الإلهية، المتفرد بوجوب الوجود، المعبود حقاً، المتصف بجميع الكمالات المطلقة التي لا تعد ولا تحصى، ومنزهاً عن جميع العيوب والآفات، وأنه ليس بمشتق البتة، وهو قول أكثر الأصوليين والفقهاء وهو الصحيح المختار. وبعضهم قال إنه مشتق:

1 - قيل إنه مشتق من ألهت إلى فلان، أي سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تعرج إلا بمعرفته.

2 - وقيل إنه مشتق من الوله وهو الفزع، لأن الخلق يولهون إليه، أي يفزعون إليه في حوائجهم.

3 - وقيل إنه مشتق من لاه إذا ارتفع، والحق سبحانه وتعالى هو المرتفع عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات.

4 - وقيل مشتق من لاه يلوه إذا احتجب، والله سبحانه وتعالى محتجب عن العقول والأبصار.

خصائص هذا الاسم:

1 - لم يتسمَّ بهذا الاسم إلا الله سبحانه وتعالى، ولذا لم يثنَّ ولم يجمع. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[1].

2 - هذا الاسم يدل على الذات وباقي الأسماء تدل على الصفات. لذلك فإن كلمة الشهادة وهي الكلمة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإسلام لم يحصل فيها إلا هذا الاسم، فلو أن الكافر قال: (**أشهد أن لا إله إلا الرحمن وإلا الرحيم وإلا الملك وإلا القدوس**). لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الإسلام. أما إذا قال: (**أشهد أن لا إله إلا الله**)، فإنه يخرج من الكفر ويدخل في الإسلام. لذلك كان «**لا إله إلا الله**» توحيداً، أما إذا قلت: لا إله إلا الرحمن، فإنه لا يمنع الشرك.

3 - جميع الأسماء الإلهية داخلة في دائرة هذا الاسم، ولهذا يقال له الاسم الأعظم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**اسم الله الأعظم هو الله**» رواه ابن مردويه وغيره.

4 - ومن خصائص هذا الاسم أنك إذا حذفت منه

(1) سورة مريم، الآية: 65.

شيئاً بقي الباقي يدل عليه، وهذه الصفة لا توجد في سائر أسماء الله تعالى الحسنى.

أ - فإن حذفت الألف صار (لله) وهو مختص به سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1]

ب - وإن حذفت الألف واللام صار (له) وهو يدل أيضاً عليه سبحانه وتعالى. قال الله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾[2] وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3]

جـ - وإن حذفت الألف واللامان صار (هو) والواو عوض عن الضمة، وهو أيضاً يدل عليه سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[4].

د - وإن حذفت اللام وأثبتت الألف صار (إله) يدل عليه أيضاً.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 284.
(2) سورة الشورى، الآية: 4.
(3) سورة الزمر، الآية: 63.
(4) سورة البقرة، الآية: 29.

الرحمن الرحيم:

صفتان اشتقتا من الرحمة لا بمعناها الأصلي الذي هو رقة في القلب لاستحالة ذلك في حقه تعالى، وإنما بمعنى المحسن أو مريد الإحسان. وقال القرطبي: والدليل على أنهما مشتقان من الرحمة، ما أخرجه الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**». وقالوا حديثاً صحيحاً.

وقد اختلفوا في المعنى بين الرحمن والرحيم:

فقال بعضهم: الرحمن بمعنى المحسن بجلائل النعم والرحيم بمعنى المحسن بدقائقها.

وقال ابن المبارك: الرحمن إذا سئل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل يغضب. وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يسأل الله يغضب**».

وقال بعض الشعراء:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

وقيل: الرحمن فيه معنى العموم، والرحيم فيه معنى الخصوص..

فالرحمن: اسم دال على إنعامه ورحمته سبحانه وتعالى لجميع الكائنات على مختلف أنواعها، من إنس وجن، مؤمنهم وكافرهم؛ وهذه الرحمة هي المذكورة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

الرحيم: هو اسم لله تعالى دال على إنعامه ورحمته الخاصة بمن شاء، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2]. وهذه الرحمة الخاصة على أنواع متعددة:

فمنها نعمة الإيمان المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾[3].

ومنها نعمة النبوة: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾[4].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 156.
(2) سورة آل عمران، الآية: 74.
(3) سورة الحجرات، الآيتان: 7، 8.
(4) سورة القصص، الآية: 86.

ومن هذه الرحمة الخاصة ما أكرم الله به عباده المؤمنين وأولياءه المكرمين. قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[1].

كما أن الرحمة العامة هي أيضاً على أنواع متعددة، وأنواع الرحمة العامة والخاصة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

قال الخطابي رحمه الله تعالى: فالرحمن هو ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر، والصالح والطالح. وأما الرحيم فخاص بالمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2].

خصائص هذين الاسمين:

1 - ذهب بعضهم إلى أن اسم الرحمن والرحيم باقترانهما يكونان الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله تعالى به أجاب وإذا سئل به أعطى. جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد وأبو داود عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها

(1) سورة الكهف، الآية: 10.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 43.

أن رسول الله ﷺ قال: «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين**: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[1]. **وقوله تعالى**: ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[2]»[3].

وروى أبو الشيخ وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألح رجل بيا أرحم الراحمين فنودي أن قد سمعتك فما حاجتك**».

2 - اعلم أن اسم الرحمن إذا اقترن باسم الرحيم دل اسم الرحمن على الرحمة العامة، ودل اسم الرحيم على الرحمات الخاصة. وإذا أفرد اسم الرحمن بالذكر شمل وعمّ الرحمات الخاصة أيضاً. قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾[4] إلى تمام السورة. فبدأ سورة الرحمن باسمه الرحمن، ثم ذكر ما شمله اسم

(1) سورة البقرة، الآية: 163.
(2) سورة آل عمران، الآيتان: 1، 2.
(3) حسنه الترمذي مع أن فيه - كما قال المناوي وغيره - عبد الله بن أبي الزناد القداح فيه لين.
(4) سورة الرحمن، الآيات: 1-5.

الرحمن من أنواع النعم وأصناف الامتنان. فذكر في هذه السورة نعماً ورحمات عمّت جميع الثقلين مؤمنهم وكافرهم، برَّهم وفاجرهم؛ ثم ذكر نعمه الخاصة بالمؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[1].

3 - ويبدو من خلال تفسير الرحمن الرحيم، أن الرحمن أعظم لأن الرحمن المنعم بجلائل النعم والرحيم المنعم بدقائقها، فلم ذكر الأدنى بعد ذكر الأعلى، مع أن الشيء الصغير الحقير لا يطلب من الكبير العظيم؟ حكي أن بعضهم ذهب إلى بعض الأكابر فقال: جئتك لمهم يسير؟ فقال: اطلب للمهم اليسير رجلاً يسيراً.

كأنه تعالى يقول: لو اقتصرت على ذكر الرحمن لتعذر عليك سؤال الأمور اليسيرة، ولكن كما علمتني رحماناً تطلب مني الأمور العظيمة فأنا أيضاً رحيم، فاطلب مني شراك نعلك وملح قدرك؛ كما قال الله تعالى لموسى: يا موسى سلني عن ملح قدرك وعلف شاتك.

4 - إن فضل الله عامٌ وإحسانه شامل ورحمته واسعة حتى ولو كان في الظاهر نقمة وألماً وعذاباً، فإنه في الباطن رحمة؛ وتعليل ذلك أن الحوادث على قسمين:

(1) سورة الرحمن، الآية: 46.

أ - منه ما يظن أنه رحمة مع أنه لا يكون كذلك، بل يكون في الحقيقة عذاباً ونقمة.

مثال: فالوالد إذا أهمل ولده حتى يفعل ما يشاء ولا يؤدبه ولا يحمله على التعلم فهذا في الظاهر رحمة، وفي الباطن نقمة.

ب - ومنه ما يظن أنه عذابٌ ونقمة مع أنه يكون في الحقيقة فضلاً وإحساناً.

مثال: كالوالد إذا أجبر ولده للذهاب إلى المدرسة، وحمله على التعلم، فهذا في الظاهر نقمة، وفي الباطن رحمة.

لذلك فالأبله يغتر بالظواهر، والعاقل الذي ينظر في السرائر؛ إذا عرفت هذا فكل ما في العالم من محنة وبلية وألم ومشقة فهو وإن كان عذاباً وألماً في الظاهر، إلا أنه حكمة ورحمة في الحقيقة؛ فالمقصود من التكاليف تطهير الأرواح من العلائق الجسدية؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1].

وتوضح هذه الحقيقة قصة موسى عليه السلام والخضر في القرآن الكريم، كيف أن الخضر كان لا يغتر بالظاهر،

(1) سورة الإسراء، الآية: 7.

وإنما كان يبني أمره على الحقائق، لا على الظاهر؛ فإذا رأيت ما يكرهه طبعك وينفر عنه عقلك، فاعلم أن تحته أسراراً خفية، وحكماً بالغة، وأن حكمته ورحمته اقتضت ذلك.

5 - إن إشراق اسم الرحمن في النفس هو أن يرحم العاصين المذنبين، ويدلهم على الطريق المستقيم، طريق الطاعة، وأن لا يحتقر مذنباً وعاصياً.

وإن إشراق اسم الرحيم في النفس: هو أن يعطف على المحتاجين والفقراء، وأن يقضي حاجات الناس. قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[1]. أي كما أن الرجل إذا تألم بعض جسده سرى ذلك الألم إلى جميع جسده، وفقد النوم، وارتفعت الحرارة بجسده؛ وكذلك المسلمون والمؤمنون يربطهم رابط الإيمان والإسلام فإنهم على هذه الصورة بتوادهم وتراحمهم كالجسد الواحد، فإن اشتكى أحدهم في المشرق يتألم عليه أخاه المؤمن في المغرب.

(1) رواه مسلم، والإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

6 - روي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ، فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه، فقيل له: قل لا إله إلا الله، فلم يستطع، فقال: كان يُصلي؟ فقال: نعم، فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه، فدخل على الشاب، فقيل له: قل لا إله إلا الله، فقال: لا أستطيع، قال: لِمَ؟ قالوا: كان يعق والدته. فقال النبي ﷺ: «**أَحَيَّةٌ والدتُه؟**» قالوا: نعم، قال: ادعوها، فدعوها، فجاءت، فقال: «**هذا ابنك؟**» فقالت: نعم، فقال لها: «**أرأيت لو أجِّجَتْ نارٌ ضخمة، فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه، وإلا أحرقناه بهذه النار، أكنت تشفعين له؟**» قالت: يا رسول الله، إذاً أشفع له. قال: «**فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه**» قالت: اللهم إني أشهدك، وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني. فقال له رسول الله ﷺ: «**يا غلام، قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**». فقالها. فقال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**»[1].

(1) رواه الطبراني، والإمام أحمد مختصراً.